

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَدَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].»

الشرح:

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو: قصدُ مكةَ في زمن مخصوص لعمل مخصوص.

هذه الآية في سورة «آل عمران» نزلت في سياق قدوم وفد نصارى نجران، وقدوم الوفود كان في السنة التاسعة، ففرضُ الحج في السنة التاسعة، وحجَّ النبي ﷺ في السنة العاشرة.

والآية دليل على فرضية الحج، وأنه أحد أركان الإسلام، لكن هذا مُقَيَّدٌ بالاستطاعة، فمن لم يستطع فلا شيء عليه، والله أعلم.

○○○

ثم انتقل الشيخ إلى الحديث عن المرتبة الثانية من مراتب الدين، فقال:

بداية الدرس

«الْمُرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: الْإِيمَانُ.»

الشرح:

هذه المرتبة الثانية من مراتب الدين الإسلامي: وهي الإيمان، والمرتبة الأولى: الإسلام، والعلاقة بين الإيمان والإسلام - كما قال المحققون -: أَمَّهُمَا

«إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا»، بمعنى: إذا اجتمع الإسلام والإيمان في سياقٍ واحد فيفترق المعنى، فينصرف الإسلام إلى الأعمال الظاهرة، والإيمان إلى الأعمال الباطنة.

و«إذا افترقا»، أي: يكون في السياق أحدهما دون الآخر، أي: الإسلام فقط أو الإيمان فقط، صار الإسلام يشمل الجميع: الأمور الظاهرة والباطنة، والإيمان يشمل الجميع - أيضا - . هذه العلاقة بين المرتبتين: الإسلام والإيمان<sup>(١)</sup>.

والإيمان في اللغة: التصديق<sup>(٢)</sup>. وفي الاصطلاح: قولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح، واعتقادٌ بالقلب، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.



ثم قال رَحِمَهُ اللهُ:

«وَهُوَ: بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةٌ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

الشرح:

البضْع: اسمٌ لمفرد مبهم، من الثلاثة إلى التسعة.

(١) ينظر للاستزادة: «جامع العلوم والحكم»، شرح الحديث الثاني.

(٢) قال ابن منظور في «لسان العرب» (٢٣/١٣): «واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق».

الشُّعْبَةُ: هي القطعة من الشيء.

ذكر النبي ﷺ في الحديث ثلاثة أمثلة، المثال الأول على القول: «لا إله إلا الله»، والمثال الثاني على الفعل: «إِمَاطَةُ الْأَدْيِ»، والمثال الثالث على أعمال القلب، وهو: «الْحَيَاءُ». فهذه الأمثلة الثلاثة إشارة إلى أن الإيمان يتضمَّن قول اللسان وعمل الجوارح واعتقاد القلب.

○○○

ثم انتقل الشيخ رَحْمَهُ اللهُ إِلَى بيان أركان الإيمان، فقال:

«وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»<sup>(١)</sup>.  
وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا  
وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وَدَلِيلُ الْقَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:  
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].»

الشرح:

الركن الأول: الإيمان بالله. ويتضمن أربعة أمور:

أولاً: الإيمان بوجوده.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثانيا: الإيمان بربوبيته.

ثالثا: الإيمان بألوهيته.

رابعا: الإيمان بأسمائه وصفاته.

والإيمان بالله أفضل الأعمال، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»<sup>(١)</sup>.

### الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

الملائكة عالم غيبي خلقهم الله من نور، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

### والإيمان بهم يتضمن:

أولا: الإيمان بأسمائهم، ممن علمنا أسماءهم.

ثانيا: أن تؤمن بما علمنا من أعمالهم؛ فجبريل - مثلا - موكَّل بالوحي ينزل به من عند الله إلى رسله، وميكائيل موكل بالقطر - يعني المطر - والنبات، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور، وغيرهم؛ مثل: ملك الموت، والملائكة

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٦ و ١٥١٩)، ومسلم (٨٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الموَكَّلِينَ بحفظ أعمال بني آدم، والملَكِينَ المُوَكَّلِينَ بسؤال الميِّت إذا وُضع في قبره، وغير ذلك مما ثبتت به النصوص.

### الركن الثالث: الإيمان بالكتب:

المراد الكتب التي أنزلها الله - عز وجل - على رُسُلِهِ، وذلك بأن نؤمن بما علمنا اسمه منها.

والذي علمنا اسمه من هذه الكتب ستة: القرآن المنزل على محمد ﷺ، والثاني: التوراة التي أنزلها الله على موسى ﷺ، والثالث: الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ﷺ، وهو مُصَدِّقٌ للتوراة ومُتَمِّمٌ لها، والرابع: الزَّبُور الذي أتاه الله داود ﷺ، والخامس والسادس: صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وصحف موسى.

وهذه الكتب السابقة كلها منسوخة بالقرآن، قال الله - تعالى -: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، فلا يُعْمَلُ بها شرعا.

### الركن الرابع: الإيمان بالرسول:

الرُّسُلُ جمع رسول، وقد سبق الكلام على الفرق بين النَّبِيِّ والرسول، وعدد الأنبياء كما في حديث أبي ذر: «مِئَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا؛ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٨٨)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٧١)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٧٣٧). وانظر: «الصحيحة» (٢٦٦٨)، وضعفه الأرناؤوط وآخرون.

والإيمان بالرُّسُل معناه: أن نؤمن بأسماء من عَلِمْنَا اسْمَهُ منهم؛ وأن نؤمن بكُلِّ خبر أخبروا به، وأن نؤمن بأنهم صادقون بما بلغوه من الرسالة.

ومن لم يُعَرَفْ اسْمُهُ فنؤمن به إجمالاً، فليس كل الرسل نعرفهم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، وقد ذُكِرَتْ جملة من قَصَصَ الأنبياء والمرسلين في كتاب الله - عز وجل - .

### الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر يتضمَّن: كل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت إلى القرار في الجنة أو النار؛ فمن مات فقد قامت قيامته.

فيدخل في ذلك: الإيمان بفتنة القبر، وعذاب القبر أو نعيمه، والبعث بعد الموت، والحشر، والحساب، وما يكون من مشاهد اليوم الآخر من الحوض والميزان والصراط وتطابير الصحف وغير ذلك من أمور مذكورة في الكتاب والسنة، فنؤمن بهذا كله مما صح نقله، إلى أن ينتهي بالناس القرار في المثوى الأخير: الجنة أو النار.

### الركن السادس: الإيمان بالقدر:

وهو يتضمَّن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بعلم الله المُحِيطِ بِكُلِّ شيء جملة وتفصيلاً.

الثاني: الإيمان بأن الله - تعالى - كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى يوم القيامة.

الثالث: الإيمان بأن كل ما حدث في الكون فهو بمشيئة الله، فلا يخرج شيء عن مشيئته أبداً.

الرابع: الخلق، ومعناه أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خالق كل شيء.

○○○

ثم انتقل رَحْمَةُ اللَّهِ إلى المرتبة الثالثة، فقال:

«الْمُرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ: الْإِحْسَانُ. وَلَهُ رُكْنٌ وَاحِدٌ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ ٦٦ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].»

الشرح:

الإحسان: المرتبة الثالثة من مراتب الدين الإسلامي، كما ورد في حديث جبريل الطويل الذي سيسوقه المؤلف بعد قليل.

وحاصل هذه المرتبة راجع إلى إتقان العبادات، ومراعاة حقوق الله فيها، ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله؛ فالعبد الذي يستحضر قرب الله منه، يعبد الله كأنه يراه، وذلك يُثمر الخشية والخوف والهيبه والتعظيم، كما جاء في بعض الروايات: «أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»<sup>(١)</sup>، ويوجب - أيضا - النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها.

• وقوله: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»: قيل: إن هذه الجملة تعليل للأولى.

وقيل: بل هو إشارة إلى أن من شقَّ عليه أن يعبد الله كأنه يراه؛ فليعبد الله على أن الله يراه ويطلِّع عليه، فليستح من نظره إليه. كما قال بعض السلف: «اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك». وقال بعضهم: «خَفِ اللَّهَ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، وَاسْتَحِ مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ»<sup>(٢)</sup>.

### فهاتان مرتبتان:

مرتبة الطلب: أن تعبد الله كأنك تراه.

ومرتبة الهرب: أن تعبد الله وهو يراك فتحذر. قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ

اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: «جامع العلوم والحكم» (١/١٢٩).

والمحسن جزاؤه، كما قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾  
 [يونس: ٢٦]، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، كما جاء ذلك عن النبي  
 ﷺ (١).

○○○

ثم قال الشيخ رحمه الله:

«وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِرِيَلِ الْمُشْهُورِ عَنْ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا  
 نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ  
 سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ  
 ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي  
 عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ: (أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ  
 الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)،  
 قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ؛ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: (أَنْ  
 تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ  
 وَشَرِّهِ). قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ  
 تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: (مَا الْمُسْؤُولُ  
 عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ). قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا،

(١) ينظر: صحيح مسلم (١٨١).

وَأَنْ تَرَى الْخُفَاءَ الْعُرَاءَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُيُوتِ. قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: (يَا عُمَرُ، أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟). قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ)).

### الشرح:

في الحديث أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، ثم سأله عن الساعة وأشراتها، وبعد ذلك قال النبي ﷺ: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

فهذا يدل على أن الدين يتكوّن من هذه الأمور الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وهذا بيان من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ للأصل الثاني من هذه الأصول الثلاثة (معرفة الدين): أن يعرف العبد دينه الإسلام: ما معناه؟، وما مراتبه؟، وما أركان كل مرتبة؟.

نسأل الله الفقه في الدين، وأن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح .. آمين.

○○○

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨).

## المبحث الثالث: الأصل الثالث: معرفة النبي ﷺ:

قال الشيخ رحمه الله:

«الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ. وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.»

### الشرح:

شرح الشيخ رحمه الله في الأصل الثالث، وهو معرفة النبي ﷺ. والكلام على هذا الأصل في مسائل:

### المسألة الأولى: نسب النبي ﷺ:

• قال الشيخ رحمه الله: «هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.»

وفي الحديث عن واثلة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٧٦).

فهو ﷺ خيار من خيار، وهو أفضل الأمة نسباً.

وفي قصة هرقل مع أبي سفيان أنه سأله، فقال: «كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ». فقال هرقل بعد ذلك: «سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ؛ فَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا»<sup>(١)</sup>.

○○○

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً: مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا».

الشرح:

المسألة الثانية: عمره ﷺ:

عاش النبي ﷺ ثلاثاً وستين سنة، «مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ»، ثم بُعث وجاءه الوحي وهو في غار حراء وعمره أربعون سنة، فمكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد، ثم هاجر ومكث في المدينة عشر سنوات ﷺ، فيكون عاش ﷺ بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة.

○○○

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣)، من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

﴿نَبِيَّ بـ﴾ **﴿أَقْرَأُ﴾**، وَأُرْسِلَ بـ **﴿الْمُدَّثِّرُ﴾**.

الشرح:

**المسألة الثالثة: بم كانت نبوته ورسالته؟**

نُبِّيَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـ **﴿أَقْرَأُ﴾**، لما جاءه جبريل، كما في الخبر المشهور: «قَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ» فكَرَّرَهَا ثَلَاثًا، «قَالَ: ﴿أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥]»<sup>(١)</sup>، فهنا نُبِّيَ بهذه الكلمات، وهذا أول ما نزل من القرآن.

ثم أرسل، أي: أمر بالبلاغ والدعوة بـ **﴿الْمُدَّثِّرُ﴾**، أي: بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ﴾ [المدثر: ١ - ٣].

وقد سبق الكلام على النبي والرسول والفرق بينهما.

○○○

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

ثم قال الشيخ رَحْمَهُ اللهُ:

«وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ».

الشرح:

**المسألة الرابعة: بلده ومهاجره:**

النبي ﷺ من أهل مكة: ولادته، ونشأته، وزواجه الأول وهو ابن خمس وعشرين سنة من خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، كل هذا كان في مكة.

ثم هاجر إلى المدينة وعمره ثلاث وخمسون سنة، وانتقل إليها واستوطنها، وأقام دولة الإسلام كما سيأتي، وعاش فيها عشر سنوات حتى توفاه الله وهو في المدينة.

فحياته بين مكة والمدينة، غالبها في مكة، والعشر سنوات الأخيرة من حياته كانت في المدينة.

○○○

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

«بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّدَارَةِ عَنِ الشَّرْكِ، وَبِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالِدَلِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى:  
 ﴿يَأْتِيهَا الْمُدْتَرُّ ① قُمْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ  
 فَأَهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْبِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧]. وَمَعْنَى:  
 ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾: يُنذِرُ عَنِ الشَّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَي:  
 عَظَّمَهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَي: طَهَّرَ أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ  
 فَأَهْجُرْ﴾ الرُّجْزَ: الْأَصْنَامَ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبِرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِيهَا، أَخَذَ عَلَى  
 هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ».

الشرح:

المسألة الخامسة: بِمِ بَعْثِ ﷺ؟ وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ؟

بُعِثَ ﷺ بِالتَّوْحِيدِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشَّرْكِ، وَمَكَثَ عَشْرَ سِنِينَ فِي مَكَّةَ  
 يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ. وَسَبَقَ الْحَدِيثُ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالشَّرْكِ فِي الْمَبْحَثِ الثَّلَاثِ مِنَ  
 الْفَصْلِ الْأَوَّلِ.

○○○

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ».

الشرح:

### المسألة السادسة: المعراج:

الإسراء والمعراج من أحداث السيرة النبوية البارزة، فأُسري بجسده الشريف من مكة إلى بيت المقدس ثم عُرج به من هناك إلى السماء، والعروج أصله الصعود، كما قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، يعني تَصْعَدُ.

وقد جاءت السُّنَّةُ الصحيحة عن النبي ﷺ في تفصيل قصة الإسراء والمعراج، وكيف تدرَّج في السموات السبع، ومن لقي، وماذا حصل له، كل هذا مفصل في كتب السُّنَّة والسيرة<sup>(١)</sup>.

○○○

(١) ينظر: البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢). وينظر: «زاد المعاد» (٣/٣٠).

ثم قال الشيخ رَحْمَهُ اللهُ:

«وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ الْخُمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ».

### الشرح:

فرض الصلوات الخمس كان بعد التدرُّج؛ فأول ما فُرِضت الصلاة خمسين، ثم خففها الله حتى وصلت إلى خمس في العدد وخمسين في الأجر.

وصلى النبي ﷺ في مكة ثلاث سنين، وكانت الصلاة الرباعية ركعتين، كما في حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا، رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ»<sup>(١)</sup>.

وذكر بعض أهل العلم أن النبي ﷺ قبل المعراج وفرض الصلوات الخمس؛ كان يصلي صلاتين في اليوم واللييلة، ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي<sup>(٢)</sup>.

○○○

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٥٠)، ومسلم (٦٨٥).

(٢) ينظر: «فتح الباري» لابن رجب (٣٠٤/٢).

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَبَعْدَهَا أَمْرٌ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَالْهَجْرَةُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشُّرْكِ إِلَى بَلَدِ  
الْإِسْلَامِ».

الشرح:

المسألة السابعة: الهجرة:

أذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة بعد أن اشتد أذى المشركين، ويسر الله  
المنصرين في المدينة، فخرج جماعة من أصحابه، وسبقوه إليها.  
والهجرة في اللغة هي: التَّرك<sup>(١)</sup>.

وفي الاصطلاح عرّفها الشيخ بأنّها: «الانتقال من بلد الشرك إلى بلد  
الإسلام».

وهذا المعنى هو المشهور للهجرة، وهناك هجرة أخرى، وهي ترك المعاصي  
والذنوب، كما قال ﷺ: «وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ»<sup>(٢)</sup>.

○○○

(١) «مقاييس اللغة» (٣٤/٦)، مادة (هجر).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠)، من حديث عبد الله بن عمرو  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشُّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ».

الشرح:

تجب الهجرة على المسلم؛ إذا كان لا يستطيع أن يظهر شعائر دينه، وهو قادر على الهجرة، فيجب عليه أن يهاجر إلى بلدٍ يظهر فيه شعائر الإسلام. وفي أحكام الهجرة تفصيلٌ محله كتب الفقه.

○○○

ثم شرع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في بيان دليل الهجرة، فقال:

«وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَلْمَلِكَةَ ظَالِمِينَ أُنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٩٧﴾ - [النساء: ٩٧ - ٩٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّيَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]».

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ وَلَمْ يُهَاجِرُوا،  
نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ (١).  
وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: (لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ  
التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) (٢).

### الشرح:

تضمنت الآية الأولى وعيدا شديدا بجهنم لمن ترك الهجرة مع قدرته عليها حتى مات، وأن الملائكة التي تقبض روحه تُوبِّخُه بهذا التوبيخ العظيم، وهذا يدل على وجوبها.

وأما قوله ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ» (٣)، فالمراد: لا هجرة من مكة بعد فتحها؛ لأنها صارت دار إسلام، أما الهجرة من غير مكة فهذه باقية إلى قيام الساعة.

○○○

(١) ينظر: تفسير البغوي (٢/ ٢٧٢).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٤٧٩)، والدارمي (٢٥٥٥)، من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٧٨٣)، وفي مواضع أخرى، واللفظ له، ومسلم

(١٣٥٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثم قال الشيخ رَحْمَهُ اللهُ:

«فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ مِثْلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ».

الشرح:

يعني أن النبي ﷺ كان في مكة يُثَبِّتُ قواعد التوحيد ويُرَسِّخُ العقيدة الإسلامية، وفُرِضَتْ عليه الصلاة بعد عشر سنوات، وكانت ركعتين في الحَضْر، فلما هاجر وقَوِيَتْ شوكة الإسلام والمسلمين، وتكوَّنت دولة الإسلام وتوطدت أركانها؛ جاءت الشرائع الظاهرة؛ كالصوم والحج والجهاد والأذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلاة الجماعة، وغير ذلك من شرائع الإسلام.

○○○

ثم قال رَحْمَهُ اللهُ:

«أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا تُوْفِيٌّ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ».

الشرح:

كانت وفاته ﷺ في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة.

ودينه ﷺ باقٍ إلى قيام الساعة، «وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ»، هكذا كان النبي ﷺ، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، كان ناصحاً معلماً محبباً للخير، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أَعَلَّمْتُكُمْ»<sup>(١)</sup>، وكان ﷺ يُعَلِّمُ أصحابه ما يحتاجونه في أمور دينهم.

○○○

ثم قال الشيخ رحمه الله:

«وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ: الشِّرْكَ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ».

الشرح:

أصل الخير وأعظم ما أمر الله به: توحيدُه، ويدخل في ذلك أمور الطاعات والعبادات الأخرى على اختلاف مراتبها وأنواعها وأجناسها.

قال ابن القيم رحمه الله: «أصل ما تزكو به القلوب والأرواح هو التوحيد»<sup>(٢)</sup>.

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٨)، وابن ماجه (٣١٣)، وأحمد (٧٣٦٨)، من حديث أبي

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٤٦).

(٢) «إغاثة اللفهان» (١ / ٤٩).

وقال - أيضا - : «إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

وأعظم الشر الذي نهى الله عنه، وحذّر منه نبيه ﷺ: الشرك - كما سبق -، ويتبع ذلك المنهيات على اختلاف درجاتها ومراتبها.

○○○

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ:

«بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً. وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؛  
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾  
[الأعراف: ١٥٨]

الشرح:

من خصائصه ﷺ:

أولاً: أنه بُعِثَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي .. - وذكر  
منها: - وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: أن الله افترض طاعته على جميع الثقلين.

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٤١٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

والاستدلال بالآية التي ذكرها الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبعوث إلى الثقلين: الجن والإنس، ليس بظاهر؛ باعتبار أن كلمة ﴿النَّاسُ﴾ هل يدخل فيها الجن أم أنها تنصرف إلى البشر من بني آدم؟ وسبق الكلام على ذلك.

لكن من الأدلة على عموم بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الجن والإنس قوله - عز وجل -: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ٢]، الآيات، وقوله - عز وجل -: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَصَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، الآيات.

فهذا يدل على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مبعوثاً إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس.

○○○

ثم قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

«وَكَمَّلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].»

الشرح:

هذا الدين قد كُملَ ولله الحمد، والنعمة قد تمت، وما ترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيراً إلا ودل الأمة عليه، ولا شراً إلا حذرهما منه.

وجاء عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «لَقَدْ تَرَكْنَا مُحَمَّدًا ﷺ، وَمَا يُحْرِكُ طَائِرٌ جَنَاحِيهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَدَّكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا»<sup>(١)</sup>.

وأوردَ بعضُ المشركين على سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالوا: لقد علمكم نبيكم كلَّ شيءٍ حتى الخراءة - يعني آداب قضاء الحاجة -، فقال سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَجَلُ؛ «لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بَعْظَمٍ»<sup>(٢)</sup>.

فكل هذا يُشير إلى عموم الدين وكماله وتمامه، فلا مجال فيه للزيادة والاستدراك أو التعقب.



(١) حسن: أخرجه أحمد (٢١٣٦١)، والطبراني في «الكبير» (١٦٤٧)، وحسنه محققو المسند.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٢).

ثم قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

«وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ٣١ ثُمَّ  
إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].»

الشرح:

قضى الله - عز وجل - بالموت على جميع خلقه؛ لهذه الآية وآيات أخرى،  
كما قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ  
أَفَايُن مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ  
اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، وجمعنا به في جنات الخلود،  
وتحت لوائه المعقود، وسقانا من حوضه المورود؛ إن ربي رحيم ودود.



## الفصل الثالث: الخاتمة

وفيها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: البعث بعد الموت:

قال الشيخ رحمه الله:

«وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].»

الشرح:

هذا أصل من أصول عقيدة المسلم: الإيمان بالبعث بعد الموت، ومعنى البعث: عودة الأرواح إلى الأجساد بعد النفخة الأخيرة.

وذكر الشيخ دليلين على هذا الأمر:

الأول: قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾، يعني: من الأرض خلقناكم باعتبار أبيكم آدم فإنه خلق من تراب، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، يعني: الدفن؛ فالمت يذا مات يُدفن في الأرض، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، وهذا هو

البعث، يُبعث الناس من قبورهم من الأرض إلى يوم القيامة ويحشرون يُساقون إلى أرض المحشر.

الثاني: قوله - عز وجل - : ﴿وَاللَّهُ أَتْبَعَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، والمعنى كالأية السابقة، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ بالموت، ثم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ منها بالبعث.

وفي الحديث قال ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ»<sup>(١)</sup>.

فالبعث ثابت بالنصوص القطعية من الكتاب والسنة، وبعد البعث يُحشر الناس إلى أرض المحشر، ثم يكون القيام الطويل، ثم الشفاعة الكبرى، ثم يجيء الله - تعالى - للفصل والقضاء بين الناس، ثم تتطاير الصحف، ثم الحساب، ثم الميزان، ثم الصراط، ثم الجنة أو النار.

○○○

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم قال الشيخ رحمه الله:

«وَبَعْدَ الْبُعْثِ مُحَاسِبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].»

### الشرح:

وما يدل على الحساب - أيضا - حديث أبي بَرزَةَ الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ»<sup>(١)</sup>.

### والحساب نوعان:

النوع الأول: العرض والتقرير، يعني يقال له: فعلت كذا وكذا في يوم كذا وكذا. فيُقرُّ ويقول: نعم. فيقول الله - تعالى - : «سَتَرْنَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»<sup>(٢)</sup>، وفي هذا جاء قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨)، من حديث ابن عمر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

النوع الثاني: الحساب العسير والمناقشة، كما في الحديث: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عَذَّبَ»<sup>(١)</sup>.

وبهذا الجمع ينزاح الإشكال الذي أوردته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حينما سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ حُوسِبَ عَذَّبَ» فقالت: أَوْلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟! قالت: فَقَالَ ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرُضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»<sup>(٢)</sup>.

وثبت في الصحيحين: أَنَّ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ<sup>(٣)</sup>، وفي بعض الروايات «مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا»<sup>(٤)</sup>.

والدليل على الحساب، قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، وقوله سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَيْسَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥٣٦) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٣) ينظر: صحيح البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٦٦)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأول من يُحاسب من الأمم أمة محمد ﷺ، مع أنها آخر الأمم إلا أنها أول الأمم في الحساب.

وأول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت رُد عليه سائر عمله.

○○○

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾» [التغابن: ٧].

الشرح:

حكم من كذَّب بالبعث أنه كافر خارج من الملة؛ لهذا الدليل، ولقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ﴿٣١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٩ - ٣٠].

وفي الحديث القدسي يقول الله - عز وجل - : «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَكَيْسَ أَوَّلَ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ»<sup>(١)</sup>.

والأدلة على إثبات البعث كثيرة؛ منها الأدلة النقلية وغيرها، وقد أفاض العلماء وأطالوا بتقريرها، والله أعلم.

○○○

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٧٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## المبحث الثاني: إرسال الرسل:

يقول الشيخ رحمه الله:

«وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ؛ وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَلَّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].»

### الشرح:

الإيمان بالرُّسُل من أركان الإيمان التي سبقت في الأصل الثاني، والله - عز وجل - قد أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، يبشرون من أطاعهم بالجنة، وينذرون من عصاهم بالنار.

ودعوة الرسل واحدة من أولهم إلى آخرهم، كلُّهم يقول: ﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، كلُّهم يدعوا إلى (لا إله إلا الله)، إلى توحيد العبادة، إلى إفراد الله بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال ﷺ: «الأنبياء إخوة لِعَلَاتٍ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»<sup>(١)</sup>؛ فهم مجتمعون في هذا الأصل الأصيل.

وإرسال الرسل له حكمة مذكورة في الآية وهي قطع الحجة، قال: ﴿لِكَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، يعني بعد إرسال الرسل لا يكون هناك حجة لأحد على الله - عز وجل -؛ فلا يُقال: ما بلغني، ما علمت، ما أتاني، ما أخبرني أحد ... بل جاءك وأخبرك وأنذرك وعلمك، فانقطعت الحجة، وهذا من أعظم الحِكم في إرسال الرسل، فهم الوسطة بين الله - عز وجل - وبين خلقه.

○○○

ثم قال الشيخ رحمه الله:

«وَأَوْهَمَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوْهَمَ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].»

الشرح:

أول هؤلاء الرسل نوح عليه السلام، أما الأنبياء فأولهم آدم عليه السلام. والدليل على أن أوهم نوح قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (٢٣٦٥).

وثبت في الصحيح في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ  
«فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>.

فنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أول الرسل، وهو أحد الخمسة أولي العزم. وآخرهم  
محمد ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن  
رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

○○○

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا، مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ  
وَحَدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي  
كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].»

الشرح:

للحكمة السابقة، «والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾  
[النحل: ٣٦]»، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾  
[فاطر: ٢٤].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧١٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وسبق الكلام على أن دعوة الأنبياء في الأصل واحدة، وإن اختلفت في التفاصيل والشرائع لكنهم مشتركون في هذا الأصل الأصيل، والله أعلم.

○○○

## المبحث الثالث: الطاغوت بيانه وحكمه:

يقول الشيخ رحمه الله:

«وافتراض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع».

### الشرح:

هذه الجملة وما بعدها في بيان معنى الطاغوت. والكلام عليه في مسائل:

#### المسألة الأولى: موارد الكلمة في القرآن الكريم:

وردت هذه الكلمة في القرآن في سبعة مواضع:

وردت في «سورة البقرة» في موضعين: في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ط  
قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ  
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله في  
الآية بعدها: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ...﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وفي «سورة النساء» في موضعين أيضا: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ  
يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن  
يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، وقال

تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦].

وفي «سورة المائدة» قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وفي «سورة النحل» قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتِ﴾ [النحل: ٣٦].

وفي «سورة الزمر» قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الزمر: ١٧].

### المسألة الثانية: معنى هذه الكلمة:

الطاغوت: مشتق من الطغيان، ويُجمع على طواغيت، والطغيان: مجاوزة الحد، والارتفاع. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، يعني لما ارتفع الماء وزاد وتجاوز حده المعتاد حملناكم في السفينة.

وأما التعريف الاصطلاحي: فنقل الشيخ عن ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أنه عرّفه فقال: «الطَّاغُوتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَّبِعٍ أَوْ مُطَاعٍ»<sup>(١)</sup>.

(١) «أعلام الموقعين» (١ / ٤٠).

• وقوله: «تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَّبِعٍ أَوْ مُطَاعٍ»:

المُرَاد غير الصالحين، أما مَنْ عُبِدَ وهو غير راضٍ، أو أُتْبِعَ اتِّبَاعًا يُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ وهو غير راضٍ؛ فهذا لا يدخل.

فالمعبود: كمن دعا إلى عبادة نفسه، أو عُبِدَ برضاه.

والمُتَّبِعُ: كعلماء السوء الذين يدعون الناس إلى الباطل وإلى مخالفة الدين؛ فيتبعونهم ويضلونهم.

والمطاع: مثل الولاة الذين يدعون الناس إلى مخالفة الدين والخروج عنه.

○○○

ولذلك قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالطَّوَاعِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ - لَعْنَةُ اللهِ -، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَّمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ».

الشرح:

المسألة الثالثة: أشهر الطواغيت:

ذكر الشيخ أن رؤوس الطواغيت خمسة:

**الأول:** إبليس. وهو أبو الجن، الشيطان الرجيم، الذي طرده الله وأبعده إلى يوم الدين، فهذا هو رأس الطواغيت؛ لأنه أبى واستكبر وكفر وسعى في إغواء الناس وإضلالهم.

**الثاني:** من عبِد من دون الله وهو راضٍ. فهذا من رؤوس الطواغيت.

**الثالث:** من دعا الناس إلى عبادة نفسه. يعني ولو لم يُعبَد، فهذا طاغوت قد طغى وتجاوز حده، سواءً عبده الناس أو لم يعبدوه.

**الرابع:** من ادّعى شيئاً من علم الغيب.

الغيب: ما غاب عن الإنسان، ويُقابلة الشهادة، والله - تعالى - هو عالم الغيب والشهادة. فمن ادّعى شيئاً من علم الغيب فقد نازع الله في ربوبيته، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

**الخامس:** من حكم بغير ما أنزل الله.

وإفراد الله بالحاكمة داخل في توحيد الربوبية؛ لأن الله - عز وجل - هو الحكم وله الحكم.

والْحُكْمَ بغير ما أنزل الله تجاوزَ للحد، قال الله - تعالى - : ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فالتبوعون ساهم الله أربابًا؛ لأنهم شرَّعوا في دين الله ما لم يأذن به، وأتباعهم عبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾.

والحكم بغير ما أنزل الله فيه تفصيل، ولاشك أنه من أعظم المخالفات أن يحكم الحاكم في قضية بغير ما أنزل الله وهو عالم مختار، فهذا من أشنع وأعظم الأمور، وفيه تفصيل قد يصل في بعض أحواله إلى الكفر، وقد يكون ظلماً، وقد يكون فسقاً.

قال الله - تعالى - : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

○○○

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].»

### الشرح:

يعني أن الدين - والله الحمد - واضح وظاهر، فلا أحد يُكره على الدخول في الدين، ﴿قَدْ تَبَيَّنَ﴾ تبينت الأمور، ﴿تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، والهدى من الضلال، والصادق من الكاذب، والحق من الباطل.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾

وهي الإسلام وكلمة التوحيد.

• وقوله: ﴿اسْتَمْسَكَ﴾ هنا زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، ﴿اسْتَمْسَكَ﴾

أقوى من مسك أو تمسك، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾.

○○○

وبعد هذا البيان السابق، قال الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةٌ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)».

### الشرح:

ختم الشيخ هذا المتن المختصر بالإشارة إلى أن رأس هذا الأمر الذي جاء به النبي ﷺ هو الإسلام.

ورأس الأمر هو الشيء المُقَدَّم، وهو الإسلام، وقد سبق بيان معنى الإسلام في الفصل الثاني.

• وقوله ﷺ: «وَعَمُودُهُ: الصَّلَاةُ»:

العمود: هو الشيء الذي يقوم عليه البناء؛ كالخيمة تقوم على عمود، فالعمود الذي يقوم عليه الدين: الصلاة، ولهذا قال ﷺ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»<sup>(١)</sup>، وقال عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤١٤٣).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (١١٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٥٧٨)، وأحمد في الزهد (٦٥٦)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٠٩).

• وقوله ﷺ: «وَذُرْوَةٌ سَنَامِهِ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»:

سنام البعير: أعلاه، والذروة: أعلاه، يعني أعلى ما في هذا الأمر هو الجهاد في سبيل الله؛ لأن الجهاد به تكون كلمة الله هي العليا، وبه ينتشر الدين، وبه تُحمى معالمه وشرائعه، فهو ذروة سنامه، وقد ورد فيه من الفضل العظيم الشيء الكثير في نصوص الكتاب والسنة.

○○○

ثم ختم الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ هذه الرسالة العظيمة بقوله:

«وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ».

الشرح:

وبهذا ختم الشيخ هذه الرسالة المباركة، نسأل الله أن يجزيه عنا وعن المسلمين خيراً، وأن يثينا جميعاً، ويرزقنا العلم النافع والعمل الصالح؛ إنه سميع مجيب.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.